المجموعة العاشرة من الأسماء الحسنى
التي تعود إلى صفات الكمال لله تعالى

قدَّمنا أن الله مُتَّصِفٌ بِكلِّ كمالٍ ومُنَزَّهٌ عَن كل نَقص، إنَّ صفاتِ الكمال استنتجناها مِن آثار الخالق في مخلوقاته، ومن المؤيِّدات النقلية التي جاءت بها الرُسُلُ عليهمُ الصلاة والسلام، مِن وَصْفِ اللَّهِ بعدَّة صفات، ومن تسميته بعدّة أسماء وصفيّة.

ولكل صِفَةٍ من صفات الكمال أسماءُ تتعلَّقُ بها وتَدُلُّ عليها. وأوَّلُ صفات الكمال: الوجودُ الذي قام دليلُ الفطرة ودليل العقل والنقل على إثباته. ومن الأسماء الحسنى المتعلّقة به أربعة أسماء تعودُ إلى معنى تحقّق وُجودِ اللَّهِ تعالى، وهي: (الحق، النور، الظاهِر، الباطن)، وفيما يلي شرح هٰذه الأسماء

73 ــ الحقُّ

معناه

الحَقُّ هو الأمْرُ الثابِتُ الواجِبُ الذي لا شَكَّ فيه، وهو ضِدُّ الباطِلِ. فمعنى كون الله تعالى هو الحقّ: أنّه المُتَحَقِّقُ الثابتُ وجودُه أزَلاً وأبداً، الذي لا يتغيَّر، ولا يتناقَصُ ولا يَعْرِضُ لذاته شَيْءٌ، وكلُّ ما عَداهُ مِن موجودات فهي موجودَةٌ بإيجادِهِ لها، وهي في الأصلِ عَدَمٌ وباطِلٌ، وأصْدَقُ كلمةٍ قالها شاعِرٌ كَلِمَةُ لبيد:

ألاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللَّهَ باطِلُ وكلُّ نَعِيمٍ لا مَحَالَةَ زائِلُ

قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: 32]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: 114].

أقوالُ العُلماء في تفسيره

يقول الإمام أبو حامِد الغزالي في كتابه «المَقْصِدُ الأسنى في شرح أسماءِ اللَّهِ الحسنى»: (الحَقُّ هو الذي في مُقابَلَة الباطل، والأشياءُ قد تُسْتَبان بأضْدَادِها، وكُلُّ ما يُخْبَرُ عنه فإمّا باطِلٌ مُطلَقاً وإما حَقٌّ مُطلَقاً، وإمّا حَقٌّ مِن وَجْهٍ، باطِلٌ مِن وَجْهٍ.

فالمُمْتَنِعُ بذاتِهِ هُوَ البَاطِل مُطْلَقاً، والواجِبُ بذاته هو الحَقُّ مُطلقاً والممْكِنُ بذاتِهِ الوَاجِبُ بِغَيْرِهِ هو حَقٌّ مِنْ وَجْهٍ، باطِلٌ مِن وَجْهٍ، فهو مِن حَيْثُ ذاته لا وُجُودَ له فهو باطِلٌ، وهو مِن جِهَةِ غَيْرِهِ مُسْتَفِيدٌ للوُجُودِ، فهو مِنَ الوَجْهِ الذي يَلي مُفيدَ الوُجودِ، فهو مِن ذلك الوَجْهِ حَقٌّ، ومِن جِهَةِ نفسه باطِلٌ، ولذلك: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص: 88]، وهو كذلك أزلاً وأبَداً لَيْسَ في حالٍ دُونَ حَالٍ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ سِواهُ أزلاً وأبَداً مِنْ حَيْثُ ذاته لا يَسْتَحِقُّ الوُجُودَ، ومِن جهته يَسْتَحِقُّ، فهو باطِلٌ بذاتِهِ، حَقٌّ بِغَيْرِهِ.

وعند هٰذا نَعرفُ الحقَّ المُطْلَقَ، الواجِدَ الحقيقيَّ بذاته الذي منه يأخذُ كل حقٍّ حَقيقَتَه، فإذن أحَقُّ الكائِنات بأن يكون حَقّاً هو اللَّهُ تعالى، فإنه حقٌّ في نفسه، أي مطابِقٌ لِلمَعْلُوم أزلاً وأبداً، ومُطابَقَتُهُ لذاته لا لغيره، لا كالعِلْم بوُجود غَيْرِهِ، فإنه لا يكونُ، إلّا ما دامَ ذلِكَ الغَيْرُ مَوْجُوداً، فإذا عُدِمَ عادَ ذلك الاعتِقادُ باطِلاً، وذلك الاعتقادُ أيضاً لا يكونُ حَقّاً لذاتِ المُعْتَقَدِ؛ لأنه لَيْسَ مَوْجُوداً لذاته، بل هو مَوْجُودٌ لغَيْرِهِ.

وقد يُطْلَقُ ذاك على الأقوال، فيُقالُ: قَوْلٌ حَقٌّ، وقَوْلٌ باطِلٌ، وعلى ذلكَ فَأَحَقُّ الأَقْوَالِ قولُ: (لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ)؛ لأنه صادِقٌ أَبَداً وأَزلاً لذاتِه لا لِغَيْرِهِ.

فَأَحَقُّ الأشياءِ بأن يكونَ حقاً هو الذي يكونُ وُجُودُهُ ثابِتاً لذاتِه أَزلاً وأَبَداً، ومعرفته حَقّاً أَزلاً وأَبَداً، والشهادَةُ له حقاً أزلاً وأبداً، وكل ذلك لِذاتِ المَوْجُودِ الحقيقيِّ لا لِغَيْرِهِ.

حَظُّ العَبْدِ مِن هٰذا الاسم

أن يرى نفسَهُ باطِلاً، ولا يَرَى غَيْرَ اللَّهِ حَقّاً، والعَبْدُ إنْ كَانَ حَقّاً فَلَيْسَ حَقّاً

بنفسه، بل هو حقٌّ باللَّهِ، فإنّه مَوْجُودٌ به لا بذاتِهِ، بَلْ هو بِذَاتِهِ باطِلٌ لَوْلا إيجادُ الحَقِّ له.

وأهل التَصَوُّفُ لمَّا كان الغالِبُ عَلَيْهِم رُؤيَةُ فَناءِ أَنْفُسِهِم مِنْ حَيْثُ ذَاتِهم، كان الجارِي على أَلْسِنَتِهِم من أسماءِ اللَّهِ تعالى في أكثر الأحوال (هُوَ الحَقُّ)؛ لأنَّهم يَلْحَظُونَ الذاتَ الحقيقية دُون ما هو هالِكٌ في نفسه.

وأهلُ الكلام ـ أي علماء العقيدة ـ لمّا كانوا أَبْعَدَ في مَقامِ الاسْتِدْلال بالأَفْعَالِ كانَ الجارِي على لسانهم في الأكثر اسم (الباري) الذي هو بمعنى: الخالق.

وأكثرُ الخَلْقِ يَرَوْن كلَّ شيءٍ سِوَاهُ، فَيَسْتَشْهِدُونَ عليه بما يرونه، وهم المُخاطَبُونَ بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185].

والصدِّيقون لا يَرَوْنَ شيئاً سِوَاهُ فَيَسْتَشْهِدُونَ به عليه، وهم المُخاطَبون بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

ويقولُ الإمامُ اللغويُّ مَجْدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: الحقُّ، هو المُوجِدُ حَقِيقَةً المُتَحَقِّقُ وُجُودُه وإلٰهيَّتُهُ، والحَقُّ ضِدُّ الباطِلِ.

ومنه الحديث المتفق عليه عند الشيخين البخاري ومسلم في «صحيحيهما» بسندهما إلى أبي سعيد الخدري: «**مَنْ رآني فَقَد رَأى الحَقَّ، فإنّ الشيطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي**» أي رؤيا صادقةً، ليست من أضغاثِ الأحلام، وقيل: فقد رآني حقيقةً غيْرَ مُشَبَّهٍ). وفي لفظٍ لأنس: «**مَنْ رآنِي في المنام فقد رآني، فإنَّ الشيطانَ لا يَتمثَّل بي، ورؤيا المُؤمِنُ جزءٌ مِن ستةٍ وأربعين جُزءاً من النبُوّة**».

أثر هٰذا الاسم على العبد

إنَّ مَن عَلِمَ أن اللَّهَ هو الحَقُّ، وأَنَّ ما سِواهُ باطِلٌ، خَضَعَ للحَقِّ وحْدَه وآمَن به وتَمسَّكَ به حتى يَلقاه، مهما كانت أحوالُه في الدنيا، ومهما تكالب عليه

الأعداء، وجَعَلَ حياتَه كُلَّها على مُرادِ الحَقِّ، وصَرَفَها كلَّها في طاعتِهِ ونُصْرَةِ دِينِهِ، ولم يَغْتَرَّ بالباطِلِ ولو كثر في الأرض، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: 196 ـ 198].

74 ـ النور

معناه

أي ظاهِر الوجود بما نَصَب سُبحانه من الدلائل على وجوده في كل شَيءٍ. فيَرجِعُ اسمُ النور إلى معنى: ظُهورِ وُجودِهِ، ببرهان البداهَةِ والعَقْلِ، كما أن النورَ ظاهِرٌ للعيون بدليل الحِسّ، وهذا أَحَدُ معاني هٰذا الاسم.

كما يحمِلُ معنى أنه هو المُظْهِرُ لِغَيْرِهِ، إذْ يُوجِدُ الأشياءَ مِنَ العَدَمِ، ويَكْشِفُ خباياها بِنُورِهِ للناظِرِينَ، فَيَرْجِعُ إلى صِفَةٍ من صفات الأفعال.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35]، وقد ورد هٰذا الاسم في مَوْضِعٍ واحدٍ مِن القرآن الكريم، وهناك سورة فيه تسمّى: بسورة النور. كما ورد في الحديث الجامع لأسماء الله الحُسْنَى.

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ الإمام حُجَّةُ الإسلام، وفَيْلَسُوفُه أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المقصِد الأسْنَى في شرح الأسماءِ الحُسْنَى»: (النُور هو الظاهِرُ الذي به كلُّ ظُهُورٍ، فإنّ الظاهِرَ في نفسه المُظهِرَ لِغَيْرِهِ يُسَمَّى: نوراً.

ومهما قُوبِلَ الوجودُ بالعَدَم، كان الظهورُ لا مَحالَةَ للوُجُودِ، ولا ظَلامَ أظْلَمَ مِنَ العَدَمِ، فالبَرِيءُ عن ظُلمَةِ العَدَم، بَلْ عَنْ إمكانِ العَدَمِ، والمُخْرِجُ كُلَّ الأشياءِ مِن ظُلْمَةِ العَدَمِ إلى ظُهورِ الوُجُودِ، جَديرٌ بأنْ يُسَمَّى نوراً.

والوجودُ نورٌ فائِضٌ على الأشياء كُلِّها مِن نور ذاتِه، فَهُوَ نورُ السَّمٰواتِ

والأرض، وكما أنه لا ذرّة مِن نُورِ الشَّمْسِ، إلّا وهي دالَّةٌ على وُجودِ الشَّمسِ المُنَوَّرَة، فَلَا ذَرَّةَ مِنْ مَوْجُودَاتِ السَّمٰواتِ والأرضِ، وما بينهما، إلا وهي بجِوارِ وُجودِها دالَّةٌ على وُجوبِ وجود مُوجِدِها.

ومعنى الظاهِرِ يُفْهِمُكَ معنى النور أيضاً). انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام المحدّثُ اللغويُّ مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: النورُ، هو الذي يُبْصِرُ بِنُورِهِ ذو العَمَايَةِ، ويُرْشُدُ بهداه ذُو الغَوايَةِ، وقيلَ: هو الظاهِرُ الذي به كلُّ ظُهورٍ، فالظاهِرُ في نفسه المُظْهِرُ لغيره يُسَمَّى: نوراً.

ومنه الحديثُ الذي أخرجه الإمامُ مُسْلِمٌ في كتاب الإيمان من «صحيحه» باب في قوله ﷺ: نُورٌ أنَّى أراه، الحديث (442)، قال ابن شقيق لأبي ذرٍّ الغِفَارِيِّ: لَوْ رَأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ كنتُ أسألُهُ: هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: قد سألتُه فقال: «**نُورٌ أنَّى أراه؟**»، قال الإمام النوويّ: النورُ جِسْمٌ وَعَرَضٌ، والبارِي جلَّ وعَزَّ ليس بجسم ولا عَرَض، وإنما المُرادُ: أنّ حِجابَهُ النورُ فكيف أراه؟ وكذا رُوِيَ في حديث أبي موسى الأشعري عند الإمام مسلم: «**حجابُه النورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بَصَرُه مِنْ خَلْقِهِ**»، وقال الإمام أبو عبد الله المازِرِيّ: معناه أن النورَ مَنَعَنِي من الرُؤْيَة كما جَرَتِ العادَةِ بإغشاءِ الأنوارِ الأَبْصَارَ، ومنْعَها مِن إدراك ما حالَتْ بين الرائي وبينَه.

وفي حديث الدُعاء الذي أخرجه الإمام مُسْلِمٌ في كتاب صلاة المسافرين من «صحيحه»، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (الحديث (1785): «**اللهمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نوراً، وفي بَصَرِي نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يَميني نوراً، وعَن يَسَارِي نوراً، وفَوْقِي نوراً، وتَحْتِي نوراً، وأمامي نوراً وخَلْفِي نوراً وعَظِّم لِي نوراً**»، أراد ضِياءَ الحقّ وبيانَه، كأنه قال: اللّهم اسْتَعْمِلْ هٰذه الأعضاء مِنِّي في الحقّ، واجْعَلْ تَصَرُّفي وتَقَلُّبِي فيها على سَبيل الصواب والخير.

أقوال المُفَسِّرين

قال الله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا

مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور: 35].

قال علي بنُ أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: هادي السمٰوات والأرض. وأخرج ابن جرير الطبري، عن أنس بن مالك: إنَّ اللَّهَ يقولُ: نُورِي هُدًى، واختاره ابن جرير. وعن أبيِّ بن كَعْب في هٰذه الآية، قال: هو المُؤْمِنُ الذي جَعَلَ اللَّهُ الإيمانَ والقرآنَ في صَدْرِهِ، فَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلَهُ فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فبدأ بِنُورِ نفسه، ثم ذكرَ نور المؤمن، فقال: مَثَلُ نُورِ مَن آمَن به. وقرأ بعضُهُم: اللَّهُ مُنَوِّرُ السمٰوات والأرض. وقال الضحّاك: اللَّهُ نَوَّرَ السمٰوات والأرض. وقال السُدِّيُّ: فَبِنُورِهِ أضاءَت السمٰواتُ والأرضُ. وفي الحديث الذي أخرجَه ابن إسحاق في «السيرة» أن رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال في دُعَائِهِ يومَ آذاهُ أهلُ الطائف: «**أَعوذُ بِنُور وَجْهِكَ الذي أَشْرَقَتْ به الظلمات، وصَلَحَ عليه أَمْرُ الدُنيا والآخِرَة أَنْ يَحِلَّ بِي غَضَبُكَ أو يَنْزِلَ بي سَخَطُكَ، لك العُتْبَى حتى تَرْضَى، ولا حَوْلَ ولا قُوَةَ إلا باللَّهِ**».

وفي «الصحيحَيْن»، عن ابن عباس ﷺ، قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ، إذا قَامَ مِن الليلِ يَقولُ: «**اللهمَّ لك الحَمْدُ، أنتَ نور السمٰواتِ والأرض ومَن فِيهنَّ، ولك الحَمْدُ أنتَ قَيُومُ السمٰواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ**». وعن ابن مسعود قال: إن ربَّكم لَيْسَ عنده لَيْلٌ ولا نهارٌ، نورُ العَرْشِ مِن نور وجهه.

أثر هذا الاسم على العبد

إن مَن عَلِمَ أن الله هو النُّورُ، آمَن به دون شَكّ أو رَيبَة؛ لأن آياتِهِ ظاهرة باهرة في الأكوان، لكلِ ذي بصيرةٍ أراد أن يُبْصِرَ النور، وفتح عينيه وبحث عن الحقّ، ولم تنطَمِسْ بَصيرَتُه بظُلُماتِ الكِبْر والهَوَى والشَهْوَات والأنانية البغيضة، ولم يَنْحَجِبْ قَلْبُه بِرَانِ المَعاصِي، ولم تَتَشَوَّه فِطْرَتُه السَّليمةُ بأمراض الشكوك والأوهام والخيالات والرِيَب، وأعمى عَيْنَيْه، عن نور الحقّ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ

بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179].

75 ـ الظاهِرُ

معناه

أي الظاهِرُ وُجودُه وكمالُ صِفاته، بما بَثَّ مِنَ الأدِلَّةِ والبراهين في مخلوقاته على وُجودِهِ، فَما مِن شيء إلّا وهو يَحْمِلُ آياتِ وُجودِهِ سبحانَه، ودلائِلَ قُدْرَتِهِ وعلمه، وطائفَةً من صفاتِهِ البالغةِ ذُروَةَ الكمال.

والظاهِرُ أيضاً: العَالِي الذي لا شَيْءَ فوقه. قال اللَّهُ تعالى مُشيراً إلى اسمه الظاهر: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3]، وجاء هذا الاسم في الحديث الجامع لأسماء اللَّهِ الحسنى، الذي رواه أبو هريرة ﷺ، وأخرجه الإمامان الترمذي، وابن ماجه في سننهما، والإمام البيهقي في كتابه: «الدعوات».

وأخرج الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، الحديث (2713)، عن أبي هريرة ﷺ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يأمُرُنا إذا أخذنا مَضْجَعَنا أن نقولَ: «**اللهمّ ربَّ السمٰوات وربَّ الأرض وربَّ العرش العظيم... اللهمَّ أنت الأولُ فليس قبلك شيء، وأنتَ الآخِرُ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهِرُ فليس فوقَكَ شَيْءٍ، وأنت الباطِنُ فليس دونَك شيء...**». قال الإمام النووي: (الظاهرُ مِن الظهور بِمَعْنَى الغلبة، والقهر، وكمال القدرة، ومنه: ظهر فلان على فلان، وقيل: الظاهر بالدلائل القطعية).

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المَقصِدُ الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحُسْنَى»: (الظاهِرُ ما لا يُتمارَى فيه، ولا يَخْتَلِفُ الناسُ في إدراكِه، وكثيرٌ من الخَلْقِ يرتابون في الخالق فكيف يكونُ ظاهراً؟.

فليُعْلَمْ أنه سبحانه وتعالى إنّما خَفِيَ مع ظهورِهِ لشِدَّةِ ظُهورِهِ، وظُهُورُهُ سَبَبَ

بُطونِهِ ونورُهُ هو حِجَابُ نُورِهِ! ولعلّك تتعجَّب مِن هٰذا الكلام وتَسْتَبْعِدُه، ولا تَفْهَمه إلا بِمِثالٍ فأقول: لو رأيتَ كلمةً مَكتوبَةً يَحْصُلُ لك يَقينٌ قاطِعٌ بِوُجُودِ كاتِبٍ لها، عالِمٍ قادِرٍ سَمِيعٍ بَصِيرٍ حَيٍّ، ولَمْ تَدُلَّ عليه إلّا صُورَةُ كَلِمَةٍ واحِدَة.

وكما شَهِدَتْ هٰذه الكلمةُ شهادَةً قاطِعَةً بِصِفاتِ الكاتِب، فما مِنْ ذَرَّةٍ في السَّمٰواتِ والأَرْضِ: مِنْ فلكٍ وكَوْكَبٍ، وشَمْسٍ، وقَمَرٍ، وحَيَوانٍ، ونَباتٍ، وَصِفَةٍ ومَوْصُوفٍ، إلّا وهي شاهِدَةٌ على نفسها بالحاجَةِ إلى مُدَبِّرٍ دَبَّرَها وقَدَّرَها، وخَصَّصَها بِخُصُوصِ صِفاتِها. بل لا يَنْظُرُ الإنسان إلى عُضْوٍ مِن أَعْضاءِ نفسه وَجُزْءٍ مِن أَجْزائِهِ ظاهِراً وباطِناً، بل إلى صِفةٍ مِن صفاتِه، وحالَةٍ مِن حالاتِهِ التي تَجْري عليه قَهْراً بِغَيْرِ اخْتِيارِهِ، إلّا ورآها ناطِقَةً بالشهادَةِ لخالقها وقاهِرِها ومُدَبِّرِها، كذلك كلُّ ما يُدْرِكُهُ بجميع حَوَاسِّه في ذاتِه وخارِجاً مِن ذاته.

ولو كانَتِ الأشياءُ مُخْتَلِفَةً في الشهادَةِ: يَشْهَدُ بعضُها، ولا يَشْهَدُ بعضُها لكان اليَقينُ حاصلاً للجَميع، ولكن لمّا كَثُرَتِ الشهاداتُ حتّى اتَّفَقَت خَفِيَتْ وغَمُضَت لِشِدَّة الظُهورِ ومثالُه: أَنَّ أَظْهَرَ الأشياءِ ما يُدْرَكُ بالحَواسّ، وأَظْهَرُهَا ما يُدْرَكُ بِحاسَّةِ البَصَرِ، فأظْهَرُ ما يُدْرَكُ بحاسَّةِ البَصَرِ نورُ الشَّمْسِ المُشْرِقُ على الأَجْسَامِ الذي بِه يَظْهَرُ كُلُّ شَيْءٍ. فما به يُظْهِرُ كلُّ شيءٍ كَيْفَ لا يكونُ ظاهِراً؟!) قال الشاعِرُ:

ما ضَرَّ ضوءَ الشمسِ ألاّ يراها ... مَن كان في إبصاره الرَمداءُ

(ولو تصوَّرنا مثلاً لِلّهِ تعالى وتقدَّس عَدَمٌ أو غَيْبَة عن بَعْضِ الأُمُورِ، لانْهَدَمَتْ السمٰواتُ والأرضُ، وكُلُّ ما انْقَطَعَ نُورُهُ عنه، ولأَدْرَكْتَ التَفْرِقَةَ بَيْنَ الحالَتَيْنِ، وعَلِمْتَ وُجُودَها قطعاً، ولكن لمّا كانت الأشياءُ كلُّها مُتَّفِقَةً في الشهادَةِ، والأحوالُ كلُّها مُطَّرِدَةٌ على نَسَقٍ واحِدٍ، كان ذلك سَبَباً لخفائِه.

فَسُبْحَانَ مَن احْتَجَبَ عن الخلقِ بِنُورِهِ، وخَفِيَ عليهم بِشِدَّة ظُهورِهِ، فهو الظاهِرُ الذي لا أظهرَ منه). قال الشاعر:

ولَيْسَ يَصِحُّ في الأَذْهَانِ شَيءٌ ... إذا احْتَاجَ النهارُ إلى دليل

ويقولُ الإمام المحدّث اللغوي مَجْدُ الدين أبو السعادات المبارك بن

محمد ابن الأثير الجزري في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى الظاهر، هو الذي ظَهَرَ فَوْقَ كُلِّ شيءٍ وعَلا عليه، وقيلَ: هو الذي عُرِفَ بِطُرُقِ الاستدلالِ العَقْلِيّ بما ظهر لَهُمْ مِن آثار أفعالِهِ وأوصافِهِ.

ومنه صَلاةُ الظُهْر، وهو اسمٌ لِنِصْفِ النهارِ، سُمِّيَ به؛ لأنه أظهر أوقاتِ الصلاةِ للإبْصَارِ. وقِيلَ: لأنها أوَّلُ صَلاةٍ أُظْهِرَتْ وصُلِّيَتْ.

وأخْرَجَ البخاريُّ في كتاب النفقاتِ من «صحيحه» في باب وُجوبِ النَفَقَةِ على الأَهْلِ والعِيالِ الحديث (5356): «**خَيْرُ الصَدَقَةِ ما كان عَن ظَهْرِ غِنَى**» أي ما كان عَفْواً قد فَضَلَ عَن غِنَى. وقيل: أراد ما فَضَلَ عن العِيالِ. والظَهْرُ قد يُزادُ في مِثلِ هٰذا إشْباعاً لِلْكَلامِ وتمْكِيناً، كأنَّ صَدَقَتَهُ مُسْتَنِدَةٌ إلى ظَهْرٍ قَوِيٍّ مِنَ المالِ).

أقوال المُفسِّرين

قال اللَّهُ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: 32، 33]، يقولُ تعالى: يريدُ هٰؤلاء الكفَار من المشركينَ وأهلِ الكتاب ﴿أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾، أي ما بُعِثَ به رسولُ الله ﷺ من الهُدَى ودِينِ الحَقّ، بمجرّد جِدالهم وافترائهم، فَمَثَلُهُمْ في ذلك كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أنْ يُطْفِيءَ شُعَاعَ الشمسِ بنَفْخِه عليها، وهٰذا لا سبيل إليه، فكذلكَ ما أُرسِلَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ لا بُدَّ أن يَتِمَّ ويَظهَرَ، ولهٰذا قال تعالى مُقابِلاً لهُم فيما أرادوه: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾، فالهُدَى هو ما جاءَ به من الإخبارات الصادِقَة والإيمانِ الصَحيح والعِلم النافع ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ هو الإسلام وما جاء به من الاعتقادات الصحيحة بالله والأعمال الصَحيحة الصالحة النافِعَةِ في الدنيا والآخرة ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، أي على سائِر الأديان كما ثبت في «الصحيح»، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ: «**إن اللَّهَ زَوَى ليَ الأرضَ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتي ما زُوِيَ لي منها**»، وأخرج الإمامُ أحمد في «مسنده»، عن تميم الداري ﷺ، قال سمعتُ رسول اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هٰذا**

الأمرُ» ـ أي دِينُ الإسلام ـ **«ما بَلَغَ الليلُ والنهار»** ـ أي سَيَصل إلى الشرق والغرب ـ **«ولا يترك اللَّهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، إلاَّ أدخلهُ اللَّهُ هٰذا الدينَ، بِعِزِّ عزيزٍ، أو بِذُلِّ ذَليلٍ، عِزّاً يُعِزُّ الله به الإسلامَ، وذلاً يُذِلُّ الله به الكفرَ»**.

76 ــ الباطِنُ

معناه

أي هو الباطِنُ بحقيقة ذاته، إذ تعجز العُقولُ والحواسُّ بمقتضى تكوينها عن إدراك حقيقته جلَّ وعلا؛ لأن الحواسَّ والعُقولَ صغيرة مَحْدُودَة، واللَّهُ سبحانه وتعالى كَبيرٌ لا حدَّ له.

قال تعالى مشيراً إلى اسمه الباطن: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3].

وثبت في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء من «صحيحه» باب ما يقول عند النوم، الحديث: (2713)، عن أبي هريرة ﷺ: **«اللهمَّ أنتَ الأوَّلُ فليس قبلكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فَليس بَعْدَكَ شيء، وأنتَ الظاهِرُ فليس فوقك شيء، وأنت الباطِنُ فليس دونكَ شيء»**، قال الإمام النووي في شرحه: (الباطِنُ: المُحْتَجِبُ عن خَلْقِهِ. وقيل: العالِمُ بالخَفِيّات). وعليه فقد يكون معنى الباطِنِ: أنه أقربُ إلى كل شيءٍ مِن نفسه، بعلمه وقدرته.

أقوال العلماء في تفسيره

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه: «المَقصِد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحُسْنَى»: (الظاهر والباطِنُ هذان الوَصْفَانِ من المضافات إلى شيء، فإن الظاهِرَ يكون ظاهِراً لشيء، وباطِناً لشيء، ولا يكونُ مِن وَجْهٍ واحد ظاهِراً وباطناً، بل يكون ظاهِراً مِن وجْهٍ واحِدٍ بالإضافة إلى إدراك، وباطِناً مِن وجه آخر، فإن الظهورَ والبُطونَ إنما طُلِبَ مِن إدراك الحواس وخزانة الخيال، ظاهِرٌ إن طُلب من خِزانة العقل بِطَرِيقِ الاستدلال، وكونه باطناً بالإضافة إلى إدراك الحواس فأمر واضح).

وقال الإمام المحدّث اللغوي مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: الباطن، هو المُحْتَجِبُ عن أبْصارِ الخلائِقِ وأوهامهم، فلا يُدْرِكُه بَصَرٌ ولا يُحيطُ به وَهْمٌ. وقيل: هو العالِمُ بما بَطَنَ. يُقالُ: بَطَنْتُ الأَمْرَ إذا عرفتَ باطِنَهُ).

وفيه الحديث الذي أخرجه الإمام البخاريُّ في كتاب الأحكام من «صحيحه» بابُ بِطانَة الإمام وأهل شورته، الحديث: (7198): «ما بعث الله نبياً ولا استخلف من خليفة إلا كان له بِطانَتانِ: بِطانَةٌ تأمره بالمَعْروف وتَحُضُّهُ عليه، وبِطانَةٌ تأْمُرُهُ بالشَّرِّ وتَحُضُّهُ عليه، فالمَعْصُومُ مَن عَصَمَ اللَّهُ تعالى». قال الإمام البُخارِيُّ: البَطانَةُ: الدُخَلاءُ، وهو قول أبي عُبَيْدَة معمر بن المثنى اللغوي. والدُخَلاءُ جَمْع دَخِيلٍ: هو الذي يَدْخُل على الرئيس في مكان خلوته ويُفْضِي إليه بِسِرِّه ويُصَدِّقُهُ فيما يُخْبِرُهُ به مِمّا يَخْفَى عليه مِن أمْرِ رَعِيَّتِهِ ويَعْمَلُ بِمُقْتَضَاهُ. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: 118، 119] وقوله تعالى: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي مِن غيركم مِن اليَهود والنصارَى والمُنافِقين.

فَعَلَى الإمام المسلم، كما أَمَرَ اللَّهُ تعالى في هٰذه الآية، أن لا يَتَّخذ مُسْتَشارِينَ غير مُسْلِمين، وغير مؤمنين، بل وغير صالحين من المؤمنين، وقد ختم اللَّهُ تعالى الآية الأولى بِقَوْله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فالعذابُ لا يكون إلا بَعْد بَيانٍ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إنَّ العاقِلَ هو الذي لا يَفْعَل خِلافَ ما يأمُرُه اللَّهُ به من اتّخاذ، الأَعْدَاء والكَفَرَة أولياء ومستشارين وأعواناً في الحكم؛ لأنهم كما بيَّن اللَّهُ لنا: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي تمنوا عنتكم وهو شدّة الضرر، وهم أيضاً ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقصّرون في إفْسَادِكم وإضْعَافِكم، فَمَنْ خالفَ أَمْرَ اللَّهِ واتَّخذ بِطانَةً، أي مستشارين وأعواناً مِن غير المسلمين، فهو غير عاقل؛ لأنه

سَيَجُرُّ نفسه إلى غَضَبِ اللَّهِ ومَقْتِهِ، وسَيَجُرُّ المُسْلِمين الذين هم رعيّته إلى الفساد والضعف، وهو فعلٌ لا يفعله عاقِل، والعَقْلُ: الفَهْمُ، وقد اختصّ اللَّهُ به جنسَ الإنسانِ مِن بين سائر المخلوقات، كالجمادات والحيوانات، فَمَن عَطَّله انْحَطَّ عن رُتْبَتِهِ التي خلقه اللَّهُ عليها، والعاقِلُ هو الذي يَفْهَمُ عَنِ اللَّهِ أَوامِرَه ويَعْقِلُها؛ لأن فيها مصلحته الدنيوية وسَعادَته الأُخْرَوِيَّة. وقد نهى اللَّه تعالى عن مُوالاة الكُفَّارِ ومصاحبتهم ومُؤاخاتهم ومعاشرتهم، والانضِمام إلى جمعّياتهم وأحزابهم ومؤسساتهم ومحافلهم ومدارسهم في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: 51، 52].

أقوال المفسرين

قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 1 ـ 3] يُخبر تعالى أنه يُسَبِّحُ له ما في السمٰواتِ والأرضِ، أي مِن الحيوانات والنباتات ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي الذي خَضَعَ له كُلُّ شيء ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقِهِ وأمْره وشرعه ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ﴾ أي هو المالِكُ المُتَصَرِّفُ في خَلْقِهِ فَيُحْيِي ويُميتُ ويُعْطِي مَن يَشاءُ ما شَاءَ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي ما شاءَ كان، وما لم يَشَأْ لم يكن. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾. أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، عن العِرْباضِ بن ساريةَ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقرأ المُسَبِّحاتِ قَبْل أنْ يَرْقُدَ وقال: «**إنّ فيهنّ آية أفضلُ مِن ألف آية**»، قال ابن كثير: والآيةُ المُشارُ إليها في الحديث هي واللَّهُ أعلمُ هٰذه الآية. وأخرج أبو داود بسنده إلى أبي زميل، قال سألْتُ ابن عبّاس فقلتُ: ما شيءٌ أجِدُه في صَدْرِي؟ قال: ما هو؟ قلتُ: واللَّهِ لا أتكلَّمُ به. فقال لي: أَشَيءٌ مِن شَكٍّ؟ قال وضَحِكَ قال: ما نجا من ذلك أحَدٌ قال: حتى أنزل اللَّهُ تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ

مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: 94] الآية، قال: وقال لي: إذا وَجَدْتَ في نَفْسِكَ شيئاً فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴿٣﴾﴾. قال البخاري: قال يحيىٰ بن زياد الفرّاء: الظَاهِرُ على كل شيء عِلماً، والباطِنُ على كل شيء علماً.